

(٩٥) سورة التين

فى رحاب السورة الكريمة

سورة عظيمة مكية آياتها ثمان نزلت بعد سورة البروج تعالج موضوعين هامين هما :

أولاً : تكريم الله عز وجل للنوع البشرى.

ثانياً : موضوع الإيمان بالحساب والجزاء.

بدأت السورة الكريمة بالقسم بالبقيع المقدسة والأماكن المشرفة التى خصها الله تعالى بإنزال الوحي فيها على أنبيائه ورسله وهى "بيت المقدس" و"جبل الطور" بسيناء و "مكة المكرمة" ثم وبخت الكافرين على شركهم وإنكارهم للبعث والنشور ، وختمت ببيان عدل الله تعالى بإثابة المؤمنين وعقاب الكافرين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَالزَّيْتُونَ ۝ وَطُورِ سِينِينَ ۝ وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ۝ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ۝ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۝ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدَ بِالذِّينِ ۝ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ ۝ ﴾

معانى المفردات:

التين والزيتون : منبتها من الأرض المباركة طور سينين : جبل المناجاة

البلد الأمين : مكة المكرمة

أحسن تقويم : أعدل قامة وأحسن صورة

اسفل سافلين : إلى الهرم وأرذل العمر

غير ممنون : غير مقطوع عنهم بالدين والجزاء

التفسير:

﴿وَالَّتَيْنِ وَالزَّيْتُونِ﴾ هذا قسم من الله عز وجل أى أقسم بالتين والزيتون ليركتهما وعظيم نفعهما قال ابن عباس "هو نبتكم الذى تأكلون وزيتونكم الذى تعصرون منه الزيت"^(١) وقال عكرمة: أقسم تعالى بمنابت التين والزيتون فالتين ينبت كثيرا بدمشق، والزيتون بيت المقدس.. وهو الأظهر"^(٢) ويدل عليه أن الله تعالى عطف عليه بالأماكن "جبل الطور" والبلد الأمين "مكة المكرمة" فيكون قَسَمَ بالبقاع المقدسة التى شرفها الله تعالى بالروحى والرسالات السماوية ﴿وَطُورِ يَسِينِ﴾ أى وأقسم بالجبل المبارك، الذى كلم الله عليه موسى وهو طور سيناء ذو الشجر الكثير الحسن المبارك قال الخازن: سمي "سينين" و "سيناء" لحسنه وكونه مباركا وكل جبل فيه أشجار مثمرة يسمى سنين وسيناء"^(٣) ﴿وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾ أى وأقسم بالبلد الأمين "مكة المكرمة" التى يأمن فيها من دخلها على نفسه وماله كقوله تعالى "أو لم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم"^(٤) قال الألوسى والغرض من القسم بتلك الأشياء الإبانة عن شرف البقاع المباركة وما ظهر فيها من الخير والبركة بيعته الأنبياء والمرسلين وقال ابن كثير "ذهب بعض الأئمة إلى أن هذه الأماكن قد بعث الله فى كل منها نبيا مرسلأ من أولى العزم من الرسل أصحاب الشرائع الكبار فالأول محله التين والزيتون وهى "بيت المقدس" بعث الله فيها عيسى عليه السلام ﴿وَطُورِ يَسِينِ﴾ حيث كلم الله تعالى موسى عليه السلام والبلد الأمين الذى من دخله كان آمنا وهو الذى بعث فيه خاتم الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ^(٥) وجواب القسم قوله تعالى ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ أى خلقنا الجنس البشرى فى أحسن شكل، متصفا بأحسن وأكمل الصفات من حسن الصورة وانتصاب القامة وتناسب الأعضاء مزينا بالعلم والفهم والعقل والتميز قال مجاهد: أحسن تقويم أحسن صورة وأبدع خلق"^(٦) ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾ أى ثم

(١) القرطبي ١١٠/١٩.

(٢) البحر المحيط ٤٨٩/٨.

(٣) تفسير الخازن ٢٦٦/٤.

(٤) الآية (٦٧) سورة النعكبوت.

(٥) روح المعانى ١٧٣/٣٠.

(٦) تفسير الطبرى ١٥٦/٣٠.

أنزلنا درجته إلى أسفل سافلين لعدم قيامه بموجب ما خلقناه عليه فلذلك سنده إلى أسفل سافلين وهي جهنم قال مجاهد والحسن "أسفل سافلين" أسفل درجات النار وقال الضحاك: أى رددناه إلى أرذل العمر وهو الهرم بعد الشباب والضعف بعد القوة^(١) وقال الألوسى والمتبادر من السياق الإشارة إلى حالة الكافر يوم القيامة وأنه يكون على أقبح صورة وأبشعها بعد أن كان على أحسن صورة وأبدعها^(٢) ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ أى إلا المؤمنين المتقين الذين جمعوا بين الإيمان والعمل الصالح ﴿فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ أى فلهم ثواب غير مقطوع عنهم وهو الجنة ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدَ بِالذِّينِ﴾ الخطاب للإنسان على طريقة الالتفات أى فما سبب تكذيبك أيها الإنسان بعد هذا البيان وبعد وضوح الدلائل والبراهين؟ ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْخَاتِمِينَ﴾ أى أليس الله الذى خلق فأبدع بأعدل العادلين حكما وقضاء وفصلا بين العباد؟ ويسن القول بعد سماع الآية الكريمة أن يقول المؤمن بلى وأنا على ذلك من الشاهدين.

الإعراب:

وَالَّذِينَ وَالزَّيْتُونَ ﴿١٥﴾ وَطُورِ سِينِينَ	الواو حرف قسم وجر، التين مقسم به مجرور، والزيتون عطف وطور سنين عطف أيضا وسنين مضاف إليه مجرور وهو علم أعجمى ممنوع من الصرف.
وَقَدْذَا الْأَمِينِ	عطف على ما قبله البلد بدل من اسم الإشارة والأمين نعت.
لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ	اللام جواب القسم، قد حرف تحقيق مبنى على السكون، خلقنا فعل ماض مبنى نا الفاعلين، الإنسان مفعول به منصوب، فى أحسن جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال من الإنسان، تقويم مضاف إليه مجرور.

(١) تفسير القرطبي ١١٥/١٩.

(٢) تفسير الألوسى ١٧٦/٣٠.

ثم حرف عطف مبنى على الفتح، رددناه فعل وفاعل والضمير فى محل نصب مفعول به، أسفل سافلين حال من المفعول واختار آخرون أن يكون صفة لمكان محذوف أى مكان أسفل سافلين والأرجح أنها مفعول ثان لرددنا لأن ردَّ ينصب مفعولين لقوله تعالى "لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً" فالضمير فى محل نصب مفعول أول، وكفاراً مفعول ثان وحسداً مفعول لأجله منصوب.	ثُمَّ رَدَدْتَهُ أَتْفَلِ سَافِلِينَ
إلا أداة استثناء، الذين فى محل نصب على الاستثناء، آمنوا فعل ماض مبنى والواو فاعل والجملة صلة الموصول، وعملوا عطف على آمنوا الصالجات مفعول به منصوب بالكسرة نيابة عن الفتحة جمع مؤنث سالم ويمكن القول إلا بمعنى لكن والذين مبتدأ وخبره فلهم أجر فلهم الفاء رابطة لما فى الموصول من معنى الشرط، ولهم جار ومجرور خبر مقدم وأجر مبتدأ مؤخر وغير ممنون نعت لأجر وممنون مضاف إليه مجرور.	إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ
الفاء هى الفصيحة، ما اسم استفهام إنكارى فى محل رفع مبتدأ وجملة يكذبك فى محل رفع خبر، بعد ظرف مبنى على الضم لانقطاعه من الإضافة لفظاً لا معنى، بالدين جار ومجرور.	فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ
الهمزة للاستفهام التقريرى ليس فعل ماض ناقص والله اسمها مرفوع بالضممة الظاهرة بأحكام الباء حرف جر زائد أحكم مجرور لفظاً منصوب محلاً خبر ليس، الحاكمين مضاف إليه مجرور.	أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ

من ألوان البلاغة

لقد اشتملت السورة الكريمة على بعض الصور البلاغية نذكر منها:

- المجاز العقلى بإطلاق الحال وإرادة المحل فى قوله تعالى ﴿وَالْيَقِينِ وَالزَّيْتُونِ﴾ حيث أراد موضوعها بالشام وبيت المقدس على القول الراجح.

- الطباق بين ﴿ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ و ﴿ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴾.
- جناس الاشتقاق فى قوله تعالى ﴿ يَا حَكِيمَ الْحَكِيمِينَ ﴾.
- الالتفات من الغيبة إلى الخطاب زيادة فى التوبيخ والعقاب فى قوله تعالى "فما يكذبك".
- الاستفهام الذى يراد به التقرير فى قوله تعالى ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ ﴾.
- السجع الجميل غير المكلف فى السورة كلها.

